S A L I M B A R A K A T

POEMS

سليم بركات

شعب الثالثة فجرا من الخميس الثالث

شعب الثالثة فجرا من
الخميس الثالث

◆

شعب الثالثة فجرًا من الخميس الثالث / شعر عربيّ معاصر
سليم بركات / مؤلّف من سوريّة
الطبعة الأولى ، 2008
حقوق الطبع محفوظة

المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر
المركز الرئيسي :
بيروت ، الصنايع ، بناية عيد بن سالم ،
ص. ب 11-5460 ، هاتفاكس 751438 / 752308 1 00961
التوزيع في الأردن :
دار الفارس للنشر والتوزيع
عمّان ، ص. ب 9157 ، هاتف 5605432 6 00962 ، هاتفاكس 5685501 6 00962
e-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الإلكترونيّ : www.airpbooks.com
تصميم الغلاف والإشراف الفنّي :
سمير سيفي®
لوحة الغلاف : **سلوى زيدان / لبنان**
الصفّ الضوئيّ : **المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر / بيروت ، لبنان**
التنفيذالطباعيّ : **مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان**

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات ، أونقله بأيّ شكل من الأشكال ، دون إذن مسبق من الناشر .

ISBN 978-9953-36-212-2

شعر
POEMS

◆

سليم بركات

شعب الثالثة فجرا من الخميس الثالث

◆

فصـــل

١

لن يتوقّفوا هنا .

لن يتوقّفوا في أيّما مكانٍ .

كثيرةٌ عرباتُهم . كثيرٌ الشحمُ ، الذي ملأوا به جِرابَ اللهِ ذائباً . أكملوا غَزْلَ السماءِ الثالثة على النَّولِ الرملِ خيوطاً تكفي خِماراً لقَدَرٍ واحدٍ ، معتدلِيْنَ في الرَّقْنِ بزنْجَفْرٍ يقينهم ؛ معتدلينَ في الغَزْلِ بِحِرْصِ النهاية على إرْثها .

بأحذيةٍ ماءٍ يجوبون المسالكَ كنمورٍ في يقظة الخَلْق . ولهم ، تحت الأعذاقِ الحجرية للسماءِ الحجرِ ، مجابهاتُ المضائق في بحر هِيْلاَكْرِيْتُوثِنِيْسْ - بحر المعاقل الدفينة . مُعْتَقَلون في رحابة النُور- ذبيحةِ المَلَلِ المُحْيي . حَمَلةُ برازخَ . يقبِّلون كلَّ حجابٍ بشفاه المختارِيْنَ ، مُبتَهلِيْنَ إلى الظاهرِ الكليْمِ أن يرشد النّصلَ الشمسيَّ إلى غزالةِ المهجورات .

٢

هُمْ عـزيفُ الدروعِ في الريح . البنَّاؤون الهـيـاكلَ بآلاتِ الظلِّ . الحَسَبَةُ في مداخل البَّوابات . سحابٌ لا يُرِيْهم ولاءَ البلَّور سحابٌ يُمزَّقُ أَسْدِيةً ، وغَمْرٌ لا يجتهد في تعريف العريق سِجالاً ، بعونِ طباعهم ، غَمْرٌ يُمَزَّقُ مِدقَّاتٍ . جوَّابو زهرٍ . جوَّابو ذهبٍ تيهٍ . يستنسخون المعقولَ بأقلامٍ من تَرَف المُشْكل وبذخِ الضرورات . معهم فيَلَةُ المكان السادس . معهم مرايا الطُّهاةِ . يُخَمِّنونَ أنهم أنجزوا رصْفَ الريح بنقوش البسائط كلِّها ، ويُجيْزون إكراءَ الأحوال مُعَتَّقةً إلى المذهولينَ .

٣

في المَعْقِل المطوَّقِ بالشُّبورات
يوزِّعون على الخواتيم أدراجاً تؤكلُ ،
ومسالخَ أدراجاً ،
وأُمَماً تُقْضَم كزبيبٍ في الشتاء .

على ثيابهم فُتاتُ الخلود ـ فُتاتُ خبزِ المَلَّةِ المحترق . نُخَالةُ العريق على ثيابهم ، وفي أيديهم حرائقُ مذعورةٌ من بقائها حرائقَ . هُمْ أحضروها مقيَّدةً بلهب النبوَّات . هُمْ أحضروها لإنضاج النهار في أفران السُّفن الغريقة ، عميقاً حتى اللانهائيِّ المزدحم بالقتلى غَدْراً بخناجر النِّعمة يحملون على ظهورهم القتلى غَدْراً بخناجر الأكيد ؛ عميقاً حتى المداخل إلى الولائم الأزلية ، حيث الآلهةُ ، مُتعْتَعةً ، ترمي المُهرِّجَ الأزليَّ بالكؤوسِ الطين .

٤

يجمعون مضائقَ البحر كبيْضِ الفواخت .
يجمعون البحرَ فِراءً ، والأقدارَ حواصلَ ملآى ببزور الأقاقيا .

لا سماءَ فوقهم ،
والأعالي ، مُقَشَّرةً ، تُطْحنُ في دهْنِ السِّيْرَج ، الذي سيغمسون فيه كِسْرَةَ الأبديِّ قبل أن يأكلوها .

٥

مرُّوا بالمُحيِّرِ الذهبيِّ ـ داعيةِ النَشءِ الخالد .
مرُّوا بالمُريدِيْن كلِّهم : الهواءِ ؛
الفُلْكِ ؛
الأرخبيلاتِ المُنْتَزَعةِ من رسومها ؛
علاًّفي المغاليق السَّحَرِة ،
والمُنْشِداتِ ، في سُهْبِ الغَمْر الثالث ،
نشيدَ المياهِ بألسنتهنَّ التي مِنْ مِلحٍ .

لقد دقَّقوا ، طويلاً ، في الطُّومارِ الرملِ مرفوعاً إليهم بأختامِ الرُّسلِ يتأوَّلونَ اللونَ كصُلحٍ ناقصٍ ، والأبديَّ وَدَكاً في طَسْتِ البطولات .

٦

قَيْرَواناتٌ تحمل متاعَهم ـ متاعَ الظلِّ الفقيهِ ، من كثيبٍ إلى كثيبٍ . لا أدلاَّءَ . لا جهاتٍ . وجودٌ مَراقيَ في الجمالِ المُنْتحِب إلى أسوارهم .

عضلةٌ همو .

جروحاً مسكوكةً يتداولونَ الغدَ في الأسواق . لا يقومون للشِّرى بجروحٍ إلاَّ مسكوكةً كدراهم الحلاَّقيْنَ . يفيقون مُذْ لم يَنَمُوا . ينتظرونَ كي ينتظروا . بأجربةٍ لبنٍ يدخلون المواثيقَ ، ويخرجون بأجربةٍ خَلٍّ . لا قلقَ . لا جهاتٍ . شُراةٌ في المعنى ، وكلُّ طاعةٍ نَسِيْئةٌ حتى تمامِ المُحيِّر .

٧

إنهم يلتقطون من خطوات الخلائق لوزَ المحظور ، ويستجمعون شرودَ الحروب موزِّعةً ثرثراتها على المُخْتارِيْن .

قد يتكئون برئاتهم على النِّصل الخامس في مِذْراة الغمام الكبير ، أو يتكئون عليهِ بأكبادهم :

أَلَمٌ يَمَسُّهم لَهُدْنةٌ ،

وعقلٌ يمرِّغُهم في الحلوى لَعَويلٌ .

كلَّ مَدٍّ في البحر ، أو جَزْرٍ ، يغسلون كُناسةَ الشروقِ عن تخوم المغيب .

٨

لا خيولَ تقود عرباتهم . لا ثيرانَ . لا عبيدَ من منابت الممالك المهدورة في صحراء لُوْكْهيْن . لا علومَ يتتبَّعون بها أثرَ الأزلِ المفقود :

مطاحنُ كثيرةٌ ، ذاتُ وقودٍ زئبقٍ ، تملأ عرباتهم بالدِّرْمَك . قُلَلٌ تفيض شمعاً . أجربةٌ طافحةٌ بالعسل يحوزونها من مناحلِ التائهين في البرازخ ، وللملح سُعاةٌ إليهم من سَبخاتِ الكون .

لا يقتربون من أبدٍ .

لا يبتعدون عن أبدٍ مُذْ حصَّنوا خنادقَهم بمآزقِ الكلمات .

٩

لتأخذنَّهم العاصفةُ الطعينةُ إلى وكرها ،
كي يُرْضِعوا غرائرَها التسعةَ من أثداءِ الشَّكل ؛
كي يرتِّقوا جسارةَ القويِّ بخيطٍ من حرير الفراغ ، ويكفلوا للقويِّ
عودةً أنيقةً إلى خساراتهِ .

لتأتِينَّهم الريحُ الطعينةُ ،
والغبارُ الطعينُ ،
والعوالمُ لتأتينَّهم قَدْ أُهينَتْ من عبثِ الكمالِ بالطحَّانين ،
ومن غَدْرِ السلالم بأديَانها .

معهمُ العرَّاداتُ يضربون بها سورَ الأصلِ الثالث . معهم الجَلاَهِقُ
تقذف ، ببندُقِ الأسفار ، نُظُمَ المفقودِ ـ مدوِّنِ الأعالي بزنْجَفرٍ
على حدوات الجياد .

١٠

كلَّما خلعوا قناعاً رموه إلى ملأٍ آخرَ في الأخدود يرتدونَه من دمٍ إلى دمٍ . وبإيماءاتٍ من اللهب ، تحت قدورهم ، يستوثقونَ القَدَرَ الناضجَ ، كَحَبِّ الكستنة في الجمر ، والرسومَ القيامةَ ، والنقوشَ ـ مآزقَ السُّكَّرِ في ناطفِ الإنسان .

عَدَمٌ حطبٌ في مواقدهم إذْ يتدفَّأون من سقوط النُّور جليداً على كشوفِ الليلِ ـ سريرِهم الأولِ .

١١

عَرَفوا ـ مُذْ عَرَف الماءُ ـ أنهم الربحُ محسوباً بأعشار النُّقصان .
ملاكاً بعد ملاكٍ موكولٍ بالسِّيُور رتَّقوا النبوَّاتِ كشِعْرٍ لا حَمْدَ فيه . أقاموا في الصُّور وخلافِها . انتدبوا مايُنْتَدَبُ لتحصيل براعاتِ اليقطين في هُزْوِهِ بالحقول .

كَمَنْ صعدوا غماماً في الجُرْفِ ؛
كَمَنْ لم يصعدوه ، ظلُّوا على ولاءِ النهاية للعَشاءِ ذاته ـ العَشاءِ المُنتخَبِ ، نقيًّاً ، من رُسُلِ الموتى وتوابل نسيانهم .

١٢

آمنون في شكِّهم . يرجِّف بخبرهم مغيبٌ واحد ؛
لسانٌ واحد ؛
غَرَقٌ واحدٌ ؛
عبثٌ يؤنِّب المجدَ ، كأبٍ في زفافه الثاني ، على إسراف الحياة بين يديه في ترميم تماثيلها .

لهاثُ العدَّائين يجمع آثارَهم من الرمل كفُطْرٍ هواءٍ . موجٌ يكيل بهم غضبَ الجُزُر من نداءِ الصواري . وهم ، كلَّما نقضوا عَهْداً أقاموا السماءَ على قدميها ؛ كلما حفظوا عَهْداً قوَّضوا الأرضَ .

يغمسون سَميدَهم في قَطْر التفاحة الهاذية ـ تفاحةِ الشيء عارياً كشقيقاته . ويستلقون على مشارف المعاني ،

منذورَيْن لقيلولة كقيلولة الغابة ، وإغفاءاتٍ كهياج النمور في الشباك .

سَميدُهم يذوبُ على لسان اليقين .

١٣

بجدالٍ كزهر الميموزا ؛
بالعِنادِ الصديق ؛
بالسَّواجير ؛
بجفاءِ الحصون للحصون ؛
بخنادقَ ماء ؛
بالجَمالِ متضرِّعاً أن يُعفى من إرثِه ؛
بالأرقِ حصانةً ؛
بأسىً من تبغ ،
ورواهشَ قطعتْها المَشاقِصُ خَطْفاً ؛
بالنبوَّةِ المُحْتَمَلةِ واللامُحْتَملَة ؛
بالأنساقِ المُخْتَزَلةِ كلِّها ؛
بالمُخْتَزَلِ ذاته ؛
بالوريث المقيم في عَدْلِ الوحشيِّ ؛
بالطبولِ الكافِرْكُوْبات ؛

بإمامةٍ للنَّهب ؛

بالأسرى المخصيِّيْن ؛

بنساءٍ خلقهنَّ الرعدُ في عَرْصاتِ الذهب ؛

بالأرَقِ القَلم ؛

بأحلافٍ سنابلَ ؛

بالصواري محمومةً ؛

بِهِمْ كرحيلٍ ؛

بهُنَّ كإغفاءات الفجر ؛

بالغدِ ـ خرائبِ الحكايات كلِّها ؛

بالإنسان حِبالةً ؛

باختلاسِه المُخْتَلَسَ ؛

بذهولِه ؛

بالشُّبُهات كنعمةٍ ؛

بالحبرِ ؛

بالوقتِ مُنْتَحِلاً أدبَ الكُرَّاث ؛

بالنقاهة التي تَلي الموتَ ؛

بكلِّ هذا ، مذوَّباً في سُلافٍ ، بلَّلوا مقابضَ فؤوسهم قبل أن يقتحموا بوَّابةَ السماء .

١٤

يتخيَّلون أنْ لا يتخيَّلوا أنهم ردموا هاويةَ الشَّكل ، في كلِّ نقْشٍ ، بمجارفِ الخصائص التسع ، وأطعموا قطيعَ الفَنَكِ ، تحت أعذاق الليل ، خُنفساءاتِ الهجرة الأخيرة .

يميلون أن لايتخيلوا ـ إذا تخيَّلوا ـ ذئابَ الفضة في حدقات المغيب ؛ التنينَ الجوهرَ ؛ العظامَ مقذوفةً من الحروف إلى الحروف ؛ الشرفاتِ تتهاوى بالمهلِّلين للمنتصِر المُغمى على إلهه ؛ طاووسَ الجنِّ متراجعةً بفلولها إلى الفردوس ؛ النارَ المُجَادَلَةَ ؛ الحقولَ تسدُّ آذانَها ضجراً من نشيد السنابل .

لقد سدُّوا ، بجلودٍ آدميةٍ ، شروخَ الإناءِ الخزفِ .
لقد دفنوا الإناءَ الخزفَ في المُشْكِلِ الخزفِ .

صدِّقُوْهم : إنهم يعوِّلون ، كثيراً ، على إدراجِ الخاتمةِ قَسَماً على البوح بشؤونهم إنْ صُدِّقوا .

١٥

سيقتربون في الجمرة المحلِّقة بأجنحة مَنْ خُدِعُوا . سيبتعدون في الرمادِ المحلِّق بأجنحة مَنْ حطَّموا الموازِيْنَ النحاسَ على أدراج الأبدية ، وبعثروا المثاقيلَ ، كَلَوزٍ ، في أنحاءِ الموت .

بالدُّخان كلَّموا الحروفَ حتى انتعشَتْ .
دهنوا عضلةَ النورانيِّ بزيت الذُّرة .
حلَّقوا قليلاً ، متخفِّفيْنَ من أثقال النور ، في الشهواتِ مجتمعةً كبزرةِ القاقُلَّة .

لا يحبُّهم شيءٌ .
لا يحبُّهم أحدٌ .
مُضَرَّسَةً يُحْسَبونَ ، مُذْ كانوا كمالاً لا يُؤبَه للوعةِ كمالِه .

١٦

أحْضِرُوهم شراخيبَ مُبَعْثَرةً ، معصوبي الأعين بالمُمَزَّقِ من مِدْرعةِ الملاك . أذْبَحوهم جمرةً جمرةً ؛

حجراً حجراً ؛

ظلاً ظلاً ؛

نجماً نجماً ؛

زبداً زبداً ؛

خفاءً خفاءً .

نَخَّلوا سماءَهم بحراشفها ، وسَنْفِها ، ووبَرِها ، وقَصَبِها ، وجُذامها ، وحقولها المُتَهارشة ، وخزائنها ـ خزائنِ الزَّرد والسَّيكران . اطْرُقُوهم إقليْداً رقيقاً حول جَزْعِ الجوهر . مرهَقون لا يُقتلون إلاَّ في عُرسٍ ؛ لا يُقتلون إلاَّ في الهزيع الثالث للَّيل . لا يُقتلون .

هاهُم الرُّوْقَةُ في المَقتلة .

١٧

دوِّخـوا الماءَ . خليقٌ بهم أن يدوِّخـوا الماءَ ؛ أنْ ينكِّلوا بالماءِ في المعاني ؛
أنْ يُرهِبوه قليلاً بما أفشَتِ الحصاةُ للحصاة .

دوِّخوا الدائرةَ .
خليقٌ بهم أن يدوِّخـوا الدائرة ، أنْ ينكِّلوا بالهـاربين إليـهـا من شقاء المعاني ؛ أنْ يُرهِبوها قليلاً بنُظُم المعقولِ ـ وريثِ البلاذُر .

دوِّخـوا العَدَمَ المُعافى كـاليـقطين في الفجـر ؛ المتـأنِّق بثـرثرات الصيف . دوِّخوا السهولَ الممحوَّةَ مستعادةً ، بسطورها الناقصة ، نَسْخَاً في الكتـاب الممـحوِّ . دوِّخـوا القلوبَ الخـواتمَ ، والأنفـاسَ التي تقطع بشفراتها الوريدَ الذهبيَّ .

غلَّقوا مصراعَ النهار ، في قسوةٍ ، خلفهم :
لن يذبحوا أحداً اليومَ : ذلك قَسَمُ العصيانِ أمام خليلاتِهِ .

١٨

مُذْ وقتٍ خَلَوا بالقتلى ، على السفح الغربي لجبل كاكُونْتْ ، مضيئيْن ، بشمع غير نقيٍّ ، سرداب الله إلى المقاصير الدفينة تحت السماءِ الرملِ .

أحْرقوا قتلاهم ، بخشبٍ من شجر النَّبْق ، بعد مديح كُنَّ في صوغه أنهم يَقْتُلون إذْ يُقتلُونَ ، ويُقتَلون إذْ يَقْتُلون . أسرفوا في كناياتٍ مقليةٍ بشحمِ أسدِ البحر . أفاضوا في بيانٍ يكسِّر بأسنانه جوزةَ النهاية . سدَّدوا كلَّ ما يملكون إلى كلِّ شيءٍ كسهام ، ورشقوا معسكرات الأعالي السبعةَ بغيوم حديدٍ ، وأنديةٍ مجرَّاتٍ ، وملاءٍ شُهُبٍ ، وبأيامٍ لم يتسَنَّ لها أن تكونَ ذاكرةً .

في السفح الشرقيِّ من جبل كاكُوْنْتْ ؛

على حجرٍ في السفح الشرقيِّ ،
قُـرب ظلِّ الكمـال المعـرَّشِ ، هِبْـرَةٌ من جناح الصـقـر ، الذي يتصيدون به ، في كلِّ قيامةٍ ، إلهاً لم يحسمْ بَعْدُ اختيارَ أنبيائه ، وأنبياءً لم يحسموا ، بَعْدُ ، اختيارَ إلههم .

١٩

هيـاكلُ عظامٌ على الكثـيب ، وآثارٌ من أقـدامِ الليل ، وبراثنِ الليل ، وإنشـادِ الليل مـالا يُنْشَـدُ إلاَّ على كـثـيبٍ تحـوَّطتْ له الهياكلُ العظامُ بأسبابِ حنينها .

وَهُمْ ، أولاءِ ، الحاملون في تدبير البسائط على نوازعها اللامُحْتَمَلةِ ، مسرِفون ، حقاً ، في التبـذير بأنين الكثيب على المُعْضِلِ المغنِّي ، ويخلطون الهياكلَ العظامَ بَعَدَسِ الحروف وجَرِيْشِها .

مشيئةٌ محتضِرةٌ تتلَمَّس أبواقَها على الكثيب ، مرتعشةً نقاءً ، كأنَّها وهبتْهم وَجَعها المؤدَّبَ ، ومحنةَ صعودها من الغيب إلى الغيب .

هُمْ ، أولاءِ ، أسْباطُ مشيئةِ مكانٍ ، وكثيبِ لوحٍ يسطِّرون عليه اللانهايةَ مُتَعَبةً من زَقِّ فِراخها .

٢٠

لَيَهجُرُنَّ ما انْتُدِبوا عليهِ ، مرتدِّيْنَ عن شرائع الفجر بلا ندم .
ليكتمِلُنَّ كالرمادِ البذرةِ ؛ كالتيه ؛ كَكَرمِ الضرورات ؛ كالشُّبْهةِ ؛ كالحرير ؛ كيقين الشحَّاذ ؛ كالظلِّ المُنْتَحَلِ ؛ كالمهجور ؛ كخمولٍ بعد اليأس ؛ كعنادِ حِضانة ؛ كلقاءٍ أُسْرِفَ في تدبيرِهِ حماقةً بعد أُخرى ؛ كعناقِ ذَبْحٍ ؛ كشوقٍ إلى الخوف في غَفْلَةٍ من البحر .

لَيَسُدُنَّ بوِكاءٍ من جلد الجُؤذُرِ فمَ السِّقاءِ ، الذي شربت منه الحقائقُ ثلاثاً جُلاَّبَ قرائنها . لَيَسُدُنَّ مشارفَ الأبديِّ بالظاهر الذَّرِبِ في منطِق التين .

٢١

يتعثرون بأذيالِ معاطفهم في صعود الأدراج اللَّهبِ إلى المعاني ، معتذرِيْن عمَّا أَشْكَلَ من خيالهم على الظلام العارف : «أيها العارفُ ، العَتَلَةُ ، الثِّقةُ نقيَّةً» ، يقولون ، أولاءِ ، وهم يتعثرون بالمشيئات متشبِّثةً ، في ضراعةٍ ، بأذيالِ معاطفهم .

هُم أبكوا الخوفَ في صعودهم الأدراجَ اللهبَ إلى أُمِّهم الطينِ . أبكوا الندمَ . أبكوا المواعيدَ يضربُها جرحٌ لجرحٍ آخرَ . أبكوا البساتينَ ، والرملَ ، والزبدَ ، والوسائدَ ، والنقوشَ العمياءَ على الدنانير الهِرَقْليَّة . أبكوا القلائدَ ، وسيورَ الأحذية ، ومقابضَ الأبواب ، وحجارةَ الرَّحى ، والمداخنَ . أبكوا الرقمَ العينَ يرى بها العماءُ حلباتِه ـ حلباتِ الهتْكِ . أبكوا أهراءَ المُؤَنِ في كل أرضٍ ، لأنهم مرةً واحدةً ؛ مرَّةً ، بحساب الصلصالِ مُجَفَّفاً كشقيقهِ الزَّبيبِ ، غَدروا بالمجهولِ ـ أبيهم .

٢٢

صباحٌ شرائحُ مدخَّنةٌ من ردف الخنزير على المائدة . ظهيرةٌ كبدٌ نيئةٌ على المائدة . مساءٌ حَبَّارٌ وطِرِّيخٌ مملَّحانِ على المائدة . شَرْطٌ مُبْهمٌ يملأُ للجالسين إلى المائدةِ ، كالقَيْنة ، عَهْدَ كؤوسهم المكسورة في كؤوسٍ مكسورة . وهم يستذكرون ألَماً لا يَقْتلُ ، وموتاً لايتجرأ أن يأخذهم من الحياة إلاَّ شِبراً ، وحياةً غارقةً حتى مصاريع أبوابها في اعتذارٍ كالخَبَل .

غبارٌ نقيٌّ المَنْبَتِ ، فقيهٌ في الأعراق ، يهبطُ ظريفاً على العَتباتِ ، التي لن يجاوزوها بخطواتهم السمادِ إلى أفناءِ القِدَم : سيقفون عن بُعْدٍ ، أشباراً ، من كلِّ شيءٍ ، بُعْدَهم عن آلهةٍ تسرقُ خَلُوقَ الآلهاتِ وسَراويلَهنَّ .

٢٣

بقفزاتٍ كطباع الماء روَّضوا السديمَ الجامحَ ـ سديمَ الأصلِ المرتفع بناءً على اللَّهب الأصل : كانوا يفعلون ماتفعله النهايةُ بلا إتقان ، مُذْ كانت النهاياتُ ، كلُّها ، بلا إتقانٍ ، تلدُ نهاياتٍ طاحنةً في كسَادِ أقدارِها .

بقفزاتٍ كأخلاقِ الماءِ ؛

كالقُتارِ ؛

كالعَسَل على الحلماتِ ،

اجتازوا أخدودَ الجوهر ، في أيديهم السبعةُ الأرقامُ ؛ السبعةُ الخوفُ ، الذي يُريهم ـ بلا خوفٍ ـ البوابةَ إلى المُشْكِلِ الرحيمِ . في أيديهم الثمراتُ السبعُ ، الدافئةُ ، مُقْتَطَفَةً من شجر الأربعاء ، على مداخل الحدائق إلى الساعةِ الثالثةِ فجراً من حُلُمِ الأربعاء .

بأيدٍ مضمومةٍ على زَرَجونِ النشأةِ ،
أو مضمومةٍ على الأربعاءِ المرتدِّ عن دِيْنِ الوقتِ ، سيحرِّكون الدمويَّ الرَّاكد .

٢٤

أعاروا خواتَمهم لِمَنْ يريد .
أعاروا حدائقَهم ، وغيومَ سهولهم ، وبوّاباتِ الحصون ، والخرائبَ المُرفَّهةَ بأحاديث الملوك ، لِمنْ يريد .
أعاروا آلهةً لسماواتٍ أعاروها لأرضٍ قد يستعيدونها ، بلا ضمانٍ ، من المعجزاتِ أعاروها ، بلا ضمانٍ ، لمنْ يريد .
أعاروا المجاهلَ ، والأكوانَ مدرَّبةً على الغُلْمةِ ، والفهودَ التي ببراثن من جليدٍ وماسٍ ، إلى الحَلَباتِ الزرقاء يصعدُ أدراجَها إلى زَندقة اللون مَنْ يريد .

لن يستعيدوا مايُعيرونَ :
حَسْبُهم رُفَهْنِيَةٌ يُفنِّدونَ بمذاهب حظوظها علومَ النرجس .

٢٥

عَـمْـداً أسـقطوا الليلَ من أيديهم على العـتـبـةِ فـتناثرَ أطعـمـةً خوارقَ ، ولُغاتٍ . عَمْداً تعثروا بالغدِ في قيلولته ، وهم يؤكِّدون ، جحيماً بعد جحيم ، أنهم سيخونون حيث شاءوا ؛ حيثُ ينضج الرعدُ حُلواً في الفاكهة . سيخونون الجرحَ العادلَ ،

واليأسَ العادلَ ،

والخسارةَ العادلةَ .

سيخونون مالا يُخان كي يدوم العبثُ جليلاً في اقتسام الإرثِ الشمسيِّ بين المُحَيَّرِ وشقيقاتهِ ـ كواكبِ الهَزَلِ الخُنَّس .

عَمْـــداً أسقطـوا السمـــاءَ من أيديهم على العتبة الحديدِ . قطَّعوا الوقتَ بشحمه وعَصَبه . علَّقوه هيكلاً عظاماً على شجرةِ الأصل الساحر ، إلى جوار الجهاتِ مُعلَّقةً من أثدائها . التهموا الأبـديَّ عـضلـةً عـضلةً ، ممرَّغـاً في زيتٍ وطحينٍ من تعب

الوقتِ . ارتعشوا تَرَفاً .

أشقياءُ كفلْقة فُولٍ .
سُعَداءُ كالذُّرةِ هُمو :
سيخونون مايُخان ومالا يُخانُ .
سيخونون حيث شاءوا .

٢٦

غـمـاليجُ الأثر الفَخْم يدحرجون النساءَ الغـمـاليجَ على حافَّة السُّكَّريِّ . بِهم حِرْصُ اللامرئيِّ على إنائه ، ووساوسُ النحل في بستان المعلوم . يقبِّلون بشفاهٍ صورٍ فمَ السديم ؛ بشفاهٍ مراوحَ فمَ اللهب . عُـدُوْلٌ في القـيـامِ بالرَّعـاعِ إلى اليـقين العـصـيـانِ ، وبالدَّهماء إلى المراثي . عُدُولٌ ، غـمـاليجُ يتزاحمون في عبور البرق بأنساته تحت قوس الشمال . طيِّبون من فرْط الحرائقِ ، ويُعْذَرونَ أنَّهم الحرائقُ مترفِّعةً بأزلها البتول عن جدال الجوهر . أُذِيْقوا شَطْحَ النبات . غُرِموا بلا دَيْنٍ . أطاعوا فرمَّموا الزخرفَ العريقَ على تِرَسَةِ المياه ، وأكملوا رسومَ الرمادِ الناقصةَ بأصباغهم ـ أصباغِ المعتدليْنَ كرياءِ الرمادِ ، مُذْ تنفَّس العَدَمُ الصُّعداءَ في خيالهم .

قد يحتملون ما يحتمل البابونَّجُ من فضائحه . قد يرجعون من نهاية اللونِ إلى أوَّلِ المذابح ، مَلُوْليْنَ كطعنةٍ ، حُذَّاقاً كـدُخـانِ

الغـار . لكنهم ذبحـوا ، في اسـتـقـصـاءِ الأثرِ الفـخـم ، أدلاَّءَهم المهرِّجيْن ، ومـهـرِّجيـهم ، وجِـمالَهم ، وحـدائقَـهم ، التي جـرُّوها خلفهم ككلابٍ في الأرسان .

غماليجُ يعترفون للنساء بما تعترفُ النساءُ الغماليجُ للنساء .

٢٧

مَنْ يتسـقَّطُ أثرَ المكان تائهـاً في الرحـيل بهم من عـريقٍ إلى عـريق؟ منسيُّون في النسـيان المتهـدِّل كَرَعاثِ الديك . لا هُمْ هناك . لا هُمْ هنا . مُصْمَتونَ . ليسوا طيوراً كي تقودهم حظوظُ الرؤيا في الطير إلى الشراك . ليسوا نباتاً ، أو ملحاً . يتكسَّبون بما لا يؤرِّخُ . حاصروا كلَّ شيء . حاصرهم كلُّ شيء . عدَّلوا المَيْل في مزاج الفضَّة . رجعوا ذاهبيْنَ . ضاق ذَرعُهم بالعناقِ ذاته ، على الحَيْد النجميِّ ، فـألقوا بالجزائر ، التي غنموها من بحر هيلاكريتوثينيس ، على برِّ دُوْكُوْن . منسيُّون ؛ كلَّما ذكَّرهم الخوفُ بنسيانه ذكَّروا الخوفَ بنسيانهم . شُرَّاحُ الفِقْه القمريِّ . ممجِّدون يمجِّدون الزبدَ الورِعَ في تبجيل الريح . خَبْطٌ في الأَلَق جسومُهم ، والنفوسُ عنادُ أباريقَ في المأدبة المهجورة . مَنْ ؛ مَنْ لهم متسقِّطاً أثرَ المكان على أذيال الكلمات؟

مُبتذلون أنعظوا الصيروراتِ ،
وارتَدُوا ، بعد حَنثهم بكل وعدٍ ، خَفْتانَ الثُلُثِ في الحساب .

٢٨

حَـدَث لهم هذا ، في النصف الثـاني ممَّا لم يكن زَمَناً . حَـدَثَ مـالم يكن إلاَّ رقـاداً في الجـمـرة المعـذَّبة ، على سـرير الرمـاد المعذَّب .

أخفوا ذلك عن أنفسهم .

حَدَث لهم ؛ حدث ما أشغلهم قليلاً عن جيوشٍ أحاطوا بالموت ينقذونه من خروج الموتى عليه بالبَيْعة للَّون .

أخفوا ذلك عن أنفسهم .
أخفوا الأطوافَ ، التي عبرت بهم من مضائق الدويِّ الخالد إلى معاصِر النشآت ، متذرِّعيْن ، كلَّما استغاث بهم الكمالُ ، أنهم لم يجدوا في القدور الدفينة شيئاً من ملح العوالم . وقد اعتادوا

أن يتذرَّعوا ، كلما أخفوا ذلك عن أنفسهم ، أنهم خُدِعوا في النصف الثاني مِمَّا لم يكن زمناً . وُهُمْ ، لن يُخدعوا ، ثانيةً ، إلاَّ في النصف الأول مِمَّا لم يكن زمناً .

حَدَث لهم هذا ،
بعد عفو التيه عن جَمَالهِ الغَيُور .

٢٩

جـرُّوا ظلالَ التنُّوب ، والمُرَّان ، والقِيْـقب ، بكلابيبَ ظلالٍ إلى المُنْحَدَر ، وراء المغيب المترنِّح في الحَلَبة من نفاقِ الشمس . ملأوا جِرابَ الناموس بخُـرْدَةِ الأفق ، مطوِّقـيْنَ المدافنَ الجِصِّيَّـةَ على الجُـرْف الأعظم ، حـيث ينزلق الملاكُ بالكنوز إلى أرَقِ الكنوز . أطالوا النظرَ ، من برزخ الحَسْمِ الأكبر ، إلى الصدوعِ الأنيقةِ في النبوءاتِ ؛ الصدوعِ المهذَّبةِ ببشراها عن نزوح السماء لاجئةً إلى أهوار العـصـيـان ، وطووا الوقتَ الزريَّ لِفـافـةً تحت آباطهم ، متحقِّقين ، في قَضْمهم كعكةَ المكانِ غيرَ الناضجة ، أنهم جاءوا بالخَسْفِ في المدائح ، وبقضقضاتِ الأغاني مقرورةً في الروعةِ المُنْشِدة بلسانٍ أخرسَ ؛ بالجليدِ الكفيل حيثُ لا يكفل النهارَ أحدٌ بصَفَنٍ ؛ باليقين له نكهةُ البطارخ على كلِّ شفة ؛ بثُفْلِ الحقائق في أقداحِ الصُّور .

خُدِع العَدَمُ بهم .
خُدِعوا مُذْ نُقِشوا جسوماً نافرةً في اللوح .

٣٠

يحشرون في القُلَل ببغاواتِهم ، وصِلالَهم ، والأيدي المبتورةَ للأحفاد الموتى ، من عيدٍ إلى عيدٍ ، كَرْمى عفو الخلجان عن المياه . ويغرفون رغوةَ الهاوية بأصابعهم ، التي يلعقها الضلالُ العابر بجمهراته المدهشة ، أو يتصنَّعون الخسارةَ في لعبة المِنْقلة أمام زائريهم المجهولين ، تحت الضوء العابس ، المنتشر بخياله العابسِ ، على الرَّقاعِ ، حيث يدوِّنون الصُّلحَ الأخيرَ بحروفٍ من نقيع الكِشْمِش ، ويرتشفون الأفقَ ذائباً ، بشفاهٍ شُرْمٍ ، من الأقداح .

يحشرون ، في القُلَل ، أقفالَهم ، وأقدارَهم المبتلَّة كالهررة ، وخوذاتِهم ، ومقصَّاتِهم ـ مقصَّاتِ الذهول ، لأنهم سيشدخون ، بِرجامٍ واحد ، بعد قليلٍ ، بلَّورةَ القيامة ؛ وسيصرعون ، بمزراقٍ واحدٍ ، من عظم الزراف ، ثورَ الحُجُبِ . سينظرون إلى أنفسِهم ، طويلاً ، في الشَّدْخِ . سيسلخونَ ثورَ الحُجُب يُغطُّون بجلدهِ

الهـاويةَ تمويهـاً ، وينثـرونَ اللَّحمَ للتنِّيْنِ الكونِ . أو ، ربَّتـمـا ، سيكتفون بِحرمانِ النَّدى من قُبَلِ الفجر ؛ بأسْرِ الباعةِ المتجوِّلِيْن في سِككِ الكمال كلِّها . ربَّتما .

معهم ذبابةُ القِدَم يتصيَّد بها الغامضُ ، في شَصِّه ، حنكليسَ الأرواح .

معهم فاكهتُهم الوفيةُ ، بسُكَّرِها ، لفجور الكمثرى ، وكُفْرِ الأَتْرُجِّ المسحور .

٣١

غيومٌ بناتُ هوى تَمَسُّ القلوعَ ، خفيضةً ، هي أقلامُهم بَروْها بمبراةِ الشَّكل . لم يكتبوا ، بَعْدُ ، بها . لكنهم واثقون أنْ سيدوِّنوا السطرَ ، الذي تتقابلُ فيه الخنادقُ كلُّها ، والمحاربون كلُّهم ، على جبهاتٍ بلا أملٍ . وهُمْ ، إلى حينةَ تدسُّ موجةٌ عانسٌ ، في قِدْر البحر ، خمائرَ ألبانها ، سيستدرجون الغيومَ خفيضةً ، بعنادهم في احتمال الماء مُنشِداً نشيدَ الحريق ؛ الماءِ النَّسَقِ العروشِ بين أنياب الهُوْلَة ، السائلِ لُعاباً من شِدق الفجر المُغْتَلِم . وهُمْ ، إلى أن يعلوَ البرواقُ ، بسيقانٍ قويَّةٍ ، في الباساتينِ المذابحِ ، سيسترسلون على انجذابهم إلى مماحكة البحر بثرثراتٍ من براعةِ النَّصل المكسور ، وغطرسةِ الزنجبيل .

غيومٌ بناتُ هوى ؛

رياحٌ بناتُ هوى ؛

سماءٌ بنتُ هوى ؛

جهاتٌ متناثرة كمنيٍّ ؛

غراميلُ مُقَلَّفةٌ بضياءِ الزُّهرة ؛

جسارةٌ قحبةٌ ؛

متاهاتٌ سراريَ وعشيقاتٌ ؛

فروجٌ تتخبَّط بزعانفها في ميزان الماء : كلٌّ هاذي أقلامُهم بَروْها بمبراةِ الكسوف المعتدل ، كي يستوثقوا السطرَ المُرْهَقَ من خُمار المدائحِ ، وشِجار النُّقاءِ في خنادقها .

٣٢

قَلَّما تُنْتَشَلُ القيامةُ من مأزِقِها ، وهمو اُنْتُشِلوا من مأزِقِ القيامةِ . قتلى في القَتْل . موتى في الموت . أحياءٌ في تَبِعاتِ الموت والقتل . يُسْبَرون بالمآزقِ مسكوكةً حنيناً إلى كلِّ شيء بطُغْرائِها ـ الوثنِ الذهبيِّ . عطارون على أرصفة النجم . يقايضون شُهباً داعرةً ، في حانات الفَلَك الداعر ، بمِيْتاتٍ مهشَّمةٍ كالبطيخ على أكتاف الحمَّاليْن ، مُذْ كوفئوا بالعبور ، خُلْسَةً ، إلى تخوم النَّعيم الطَّرَّارِ خارجاً من مسالخ الإلهيِّ بأسلابه . زاحموا الأجرامَ قليلاً على بيادر الناموس ، حيث تتزاحم بغالُ الكُليِّ بحوافرِها الفيروزِ ، متهاديةً بأحمالها من نُظُم الطبائع الباقلِّيَّة . شهقوا شهيقَ العادل بحسرته في وداع المختصميْن . رصدوا زيْنَةَ الغيمِ بالأثر اللعوب في خطوات المُنتقِم . تشكَّوا أنهم ظُلِموا بانتصار حظوظهم المذعورة فأوقعوا بالمُمكن في إثمِهِ مُمكناً . أذلُّوا خوفَهم بعقرب البهاء يلدغهم في البرازخ . مُعْتَمَدون . رواهشَ مقطوعةً

مُعْتَمَدون . خيبةً مُعتمدون . نَزَقاً ؛ وُلاةَ بزورٍ ؛ تَرَفاً مزالِقَ ؛ خلاءً مُعتمدون ؛ خَلْقاً خلاءً مُعْتمدون باستهجان النارَدِيْن لمآرب البابونَّج ، واستهجان الأعمدة لمآرب تيجانها ، واستهجان القلب لمآرب الرئة ، واستهجان الرئة لمآرب القلب ، واستهجان الرماد لمآرب الجمر ، واستهجان الحروفِ لمآرب الكلمات .

قيامةٌ مُسْتَهْجَنةٌ في عينيْ شجرة العَفْص الزرقاءِ . قيامةٌ مأزقٌ ، وهمو انْتُشِلوا ، مُرْتَثِّيْنَ ، من مأزقِ القيامة .

٣٣

هاهُمْ يدققون في الوشْم المائيِّ على عَضُد المُصَارع . حلبةً حلبةً يدقِّقون في الوشم المائيِّ على ثدي المعجزة ، بعيونٍ من براعةِ المُعْضِل في تبويب الحلول سِفاحاً بأبوَّته المائية . لا يتذكَّرون متى هُمْ كانوا هُمْ ؛ متى كانوا . لا يتذكَّرون أن يتذكروا . معصومون من البقاء في خيالٍ ، أو يولدوا من خيالٍ . بينهم وبين السماء سُحُبٌ معطَّلةٌ ؛ وقتٌ مُعَطَّلٌ لن يُصْلِحه ملاكٌ ساعاتيٌّ ، أو نصرٌ ، أو نجدةٌ حُمَّى . والعَشاءُ ، الذي ينتظرهم عَشاءٌ مروِّعٌ على مائدة المختاريْن ، حيث النبوَّةُ محشوَّةٌ ، كالجَدي المشويِّ ، بأرُزِّ القَتْل ولوزِه .

هاهُمْ يدقِّقون في الأملِ يتوعَّد البساتين بمقصِّه ـ مقصِّ الحلاَّق ؛ في القادوس ممتلئاً بالفحم على فوَّهة الضروراتِ ؛ في القُبْلةِ الطِّرازِ تقلِّدُها القُبَل ؛ في سُعار الجُسُور المعصومة ، وآياتِ اليأس طافحةً بالجدال الأنيقِ . مُرْهَقون قليلاً مُذْ أنجزوا صُلْحَ الحَورِ

والبتولا بعد خصومة الطير العابر ؛ مُذْ أصلحوا بين الزيزفون والتِّنُّوب بعدَ خصوماتٍ مَزَّقتِ الأعشاشَ ؛ لكنهم يدقِّقون ، بَعْدُ ، في أرقامهم ـ أرقامٍ كحشيشة الدِّينار أرَّخوا بها القياسَ الأولَ لأَبْعادِ المهجورات .

أيديهم مرتعشةٌ قليلاً ، على الدَّرَابزيْن المتخلِّع ، في الممرِّ إلى الليل ، الذي يليه الصباحُ الدَّيُّوثُ غارقاً في ديونِ الجرحى .

٣٤

مثلومٌ شَرَفُ الكناريِّ على شجرة الأكيدُنْيا . مثلومةٌ طباعُهم في استثارة لَهَفِ الدسيسة على الدسيسة ، والمُنْتَهَك على المُنْتَهِك . وهُمْ يعرفون أن ثَلْماً خفيفاً ، أيَّ ثَلْم ، يُعوِّر الجلالَ كلَّه . لذا ، مُرْغميْنَ ، يقطعون أزرارَ قمصانهم الهَرَويَّةِ ، ويمسحون بريش العصفور المحاكي على الرمل ، الذي تكلَّفَ طويلاً قسوةَ البقاء على حيادِه ؛ معتذريْن ، كلُّ قَرْنٍ ، إلى العبث النبيِّ عن بقائهم مرتجفين في الآياتِ المرتجفة قرناً بعد آخر . وبأصواتٍ كغنائمَ غَسقيَّةٍ ؛ كرهائن من كبريتٍ ، أو فديةٍ من قصديرٍ ؛ بها ، بأصواتهم تلك يسردون على المحاريث قلقَ البزور ، في توريات عن بحارٍ داجنةٍ في أقفاص الرعد ، وعن قلاعٍ داجنةٍ ، وجبال داجنةٍ في مزارع العماء الكبير ؛ عن عَدْلٍ صفيقٍ يعكِّر الحياةَ ، قليلاً ، على إفطار المذهوليْن .

مـثلومٌ شـرفُ الظهـيـرة مـتكوِّمـةً تحت شـجـرة الأكـيـدُنْيـا ، وهُم يسردون للظهيرة دخيلةَ الكناريِّ الصامتِ ، بأصوات لها مذاقُ فجْلِ الخيل .

٣٥

عندهم عِنْدٌ . خميسٌ عِنْدٌ . لا فرقَ يستهوي قضاءَ اليوم الواحد موزَّعاً مخالبَ على كل يوم . عندهمُ الفَرْقُ المستهترُ ، وحمائلُ الأُسسِ على أقدام من شطرنج المُرابيْنَ . أكلٌّ ماعندهم عِنْدٌ خميسٌ؟ تتساوى في الحُرْقَةِ الحلباتُ والموت إنْ سُئِلوا . وَهُمْ يُسْألون : أعندهمُ الذي يَعِدُون به الخميسَ التائهَ ، خدِيْنَ البرقِ لاعباً بأُنثيَيْهِ أَمام الملأ الأزليِّ؟ عندُهم عِنْدٌ سُورٌ من العجلات ؛ عِنْدٌ كغِماءِ الصقْر ، وعلى مراقيهم الترابية إلى البقاءِ آثارٌ من نَقْرِ الزِّرياب ، وسَلْحِ الطَّيْهوج .

خميسٌ عِنْدٌ ، في حُرْقةِ عِنْدِهِ الساخرِ ، على مرأى من أيامهم المُعْتدلةِ حَسَداً .

٣٦

إنْ مَضُوا لا يرجعونَ . حَمْضُ أعمارهم حَمْضُ الخلِّ نقيًا ببراءة السفرجلِ . أو سيعودون إن مضوا ، مُخْتَزَلِيْنَ في حَمْضِ الخلِّ مراثيَ فاكهةً من نَدَم الصيف على إسرافهِ . غشُّوا قليلاً في خيال الثمرة المِزَّةِ غشَّ البلوطِ شجرتَهُ . هوَّلوا على وَرَع البقلة كي تعود مجدِّفةً . أغروا الدراقَ السفَّاحَ بخصائص أخيه الجوز الحَرَسيِّ مقلِّداً النَّوْلَ الأعظمَ في يديِّ التوت . صنَّفوا البندقَ أرقَّاءَ على أحكامٍ من تدبير السُّوْرَنْجَان . خلطوا صلاحَ الكمأ بنفير الهليون في الجذور . علَّلوا الشَّمَارَ بالميراثِ ذاتهِ ـ ميراثِ السَّهْل الجبليِّ ، وأذنوا للآذِرْيُون أن يُحمِّل خلياتهِ من زهر الكَزْمازِكِ أختامَ النَّحْل . أجازوا انتسابَ الأرواح تسعاً تسعاً إلى حوْزة الفلفل ، واحتسابَها مجامعَ فِقْهٍ من قِشدةِ البرازخ في خَانقَاهِ الخِطميِّ . أمْلُوا على الغُبيراءِ شعائرَ القراصيا المُمْتَنعة عن تسديد أجْرِها للحدائق المُمِلَّة . بعثروا مفاتيحَ القِثاءِ الهندي على

الجداول ؛ بعثروا مواثيقَهُ بين يتامى الماء . عقروا الأخماسَ المبتدئةَ برُبْعها الفَحْلِ كخُمْسٍ يحذرُهُ التوتُ .

دخَّنوا تبغَهم ـ تبغَ نيسانَ ، أخيراً ، لِفافاتٍ في ورقِ الرِّيباس ، وشربوا الفُقَّاعَ بارداً ، بعد التسليم بخلاص الشعير في ميزان البُهْمَى . حَمَدوا ما يُحْمَدُ مِنْ يأسِهِ . حَمَدوا المأجورَ المذهَّبَ بقيود أجْرِه العذْب .

٣٧

غُلِبوا في الخنادقِ كلِّها ، التي احتفروها قُبالةَ التَّرف ؛ في المعاقل الأشدِّ نَزَقاً على تخوم الرماديِّ . كانوا واثقيْنَ أنهم سيُغلبون بتغليبهم طباعَ المُعْضل على الطباع ، وإسرافهم في نَقْل الحجريِّ ، نَفَساً نَفَساً ، إلى جسارة المأثورات . كانوا دُرْبَةً للخسارة أن تُسْتَثنى من نَفْسِها كخسارةٍ ، في القديمِ كغد قديم يستثني نَفْسَه من كونهِ غداً . والرعدُ ، الذي أبكاهم شوقاً إلى الدفين ، أبكى ، بالصدى الحديديِّ ، عبَّادَ الشمس ، في الصباح الدافئ ذاك ، المُرتَهِنِ ـ بأخلاقِ المُخْمَل فيه ـ لمقامراتِ النُّور ، فاستطاروا نازحيْن إلى الخنادقِ كلِّها ، التي احتفروها قُبالةَ الخفيِّ ، يرصدون عبورَ الذئبة في فوح الفُوْفل ، جنوباً ، إلى غياهب الخيال العسل لعراءاتِ الإنسان . غُلِبوا بتمام نشيدهم أمَّةً لا جرحى فيها ، لا فرَّانيْنَ ، أنداداً للمضائق يعلِّقون خيولَهم من أذنابها إلى سُحُب الليل ، في الخميس الثالث ـ خميسِ الرؤوس

المسلوخة حتى أشفار أجفانها .

إطنابٌ كاسِرٌ ميَّزَ لسانَ الغَلَبةِ الكاسِرَ ، فأصغوا بآذانِ المتاهة إليه ، حيارى : أيصعدون أم يهبطون؟ أقحوانٌ قاطعُ طريقٍ يرفعهم على ساقه النحيلة إلى جمهراتِهِ ، ويمهِّد لبزوغهم نباتاً بطشُ الجرجير .

٣٨

أَيُعْلَى سُفْلٌ؟ يُعْلَى المَوَتانُ مُـذْ صهروا أبواقَـهم ، ثانيـةً ، في نار الإرث ، بقلوبٍ بَعْجى كـأباريق التـوتيـاء ؛ مُـذْ صـهـروا الدروعَ والمزاليجَ بزفير الجمعة الثالثة ـ جمعةِ المتحيِّناتِ كنسائمَ أغلفةٍ لم تلتصق بكتبها جيداً ـ كُتُبِ القَسْطل ، عُقْبى أن تُستعاد سبائكَ يطرقونها عضاً بنواجذهم ، جالسيْن ، هَمَجاً بأوزانِ العِطْر ، في الخطأ العَذْبِ يُسْتعادُ على مسمع الصواب المُعذَّب ، أَوْ ريْثَ يكملون ، بوجْدٍ من عَتَب النار على النار ، بَذْرَ سِرْقيْنِ الآلهة المُخْصِبِ تحت جلود المُختاريْن .

مكسورون كقلبٍ مكسور ؛ كزجاجٍ مكسورٍ ؛ كالجوزة المكسَّرةِ تحت عجلة العربة ، في عبورها حقولَ الموتى . المكسورةُ أرواحُهم الصلصاليةُ مكسورون جواهرَ وأعْرَاضاً تُطْحنُ بأضراسٍ سَكرى نَقْلاً مُمَلَّحاً يُزدَردُ بجرعاتٍ من سُلافة الطاهر . كسورٌ هُمْ في الأرقام ؛ كسورٌ بنقائضَ في الأعشار وأترابها ؛ كسورٌ حواملُ

كنوزٍ تتناقلها الأرقامُ من خليلةٍ رقم إلى مَخْدعِ رقم ، إلى حَمْدٍ
للشهواتِ بمنيٍّ الرقمِ لساناً مكسوراً في فم النُّصْبِ المكسور .

نبتوا من كسورٍ خلائقَ مصفًّاةٍ في الرَّاووق المكسورِ . مكسورون
كأيِّ بابٍ على مداخل القيامة .

٣٩

قهرمانُ الفَتْكَةِ المُرْشِدُ ، الصَّفيُّ ، يزن بيديه المكانَ لَهُم لُهاثاً كأشافي الإسكافيِّينَ ، وصُوىً تُطْفأُ قَضْماً بفم العويل ؛ يزنُ بهم المكانَ مشاحنةً بين المنارات وظلالها الغاضبةِ ؛ ضَبْحَ بحيراتٍ هائجةٍ من رثاء السحب للسحب . قهرمانٌ من جلالِ القِرْفةِ ، أوْ هَوَان الكمُّون ، بعلومٍ مصاطبَ من قرميد ؛ بخيالٍ من كَدْحِ البحر في إعادة الزبد الجامح إلى حظائرِه ؛ برحمةٍ عَدَسٍ في الجاروش ستوزِّعُ بنُخالتها على العَدْلِ العَدَسِ ؛ بعينين كعينيِّ الظمأ ، ولسانٍ كلسان السُّخرة ؛ ـ قهرمانٌ عدَّاءٌ على حافَّة الذهب يتوسَّلونَه أن يزِنَ لهم المرايا الهَرَبَ ـ مواعيدَهم الهَرَبَ إلى صورهم ، فيزنُ المكانَ ذائباً لا يُشْرَبُ أو يُهْرَقُ . ذائبيْنَ يزنُهم قهرمانُ الفَتْكة المُرْشِدُ ، الصَّفيُّ الثِّقةُ كعدمهم ، كالوجودِ ثقةً مصكوكاً على دخان لفائفهم من فمٍ رمادٍ إلى فمِ رمادٍ .

حتَّام يرِثونَ العاصفَ؟ لا يُحْضِرون مازعموا أنْ سيُحْضِرونَ . لا

حَوْلَ للوثنيِّ خالصاً في استمالة الفضَّةِ بهم . لا يُسْتمالُ بهم الرَّهَبَوتُ . لا يَسْتميلون . لا يُسْتمالون .

قهرمانٌ خَوخةٌ خَرُوْدٌ رَمَحَها الكرزُ بقَدَمٍ من كِهانةِ السُّكَّريِّ .

٤٠

هي جَوْنةُ العِطر ممزَّقةً تتداولُها الساحراتُ ، مُذْ رأيْنَهم ينحرون المعجمَ الثاني ـ الكبشَ في قطيع السَّيَر ، وينتحرون ، بتمامِ غيومهم ، وتماثيلهم الفاكهةِ ، وأيامهم الطبولِ ، المتناثرةِ على سفوح الآياتِ كزَرَدِ الله .

خوارقُ حافيةٌ في السرداب المرصوف بالأقدام الحافية إلى مراقدهم . وهُمْ ينبضون نَبْضَ القصاصِ المؤنس للمؤنس ، تحت شُعلة الخَيار الشَّبكةِ بثقوبٍ كحجور الفَنَك . ويستغيثون بلسانٍ من شعائر الحريقِ النجاةِ ، فلا يُنْجَدون إلاَّ بلسان العبث مترفِّعاً عن سِجال الذهبِ ، فينتحرون ، ثانيةً ، بتمام سمائهم المتناثرةِ على أعتاب الأيات كحقائب الله .

هي جَوْنةُ العِطر ممزَّقةً تضرب بها الساحراتُ أعماقَهم القبورَ . هو

الرمادُ ـ حَكَمُ الريح ـ يضرب ، بقبضة الجرحِ فيهِ ، على العظام طليقةً في أنحاء المعجم الثاني ـ الكبشِ في قطيع السَّير ، فيعترفون ، موتى ، بردَّة الرمان عن حقائقه ، وينهضون من غيبوبة الدمِ حُمْراً كسِفاد الديكِ ؛ أنقياءَ كتعبٍ .

٤١

أخذوا كلَّ شيء إلى الخليج الثالث ـ خليج هِيْلاكْرِيْتُوْثِيْنيس .
أخذوا السماءَ عجلاتٍ تحت هياكل السفن ، من البرِّ الحجريِّ
خلف اصطبلات النجوم الجياد ، إلى البرِّ المرتَّق بأسلاك ماءٍ
وسِيورِ ماءٍ ، على تخوم دُوْسْخُو ـ أرضِ الرُّماة الرُّحَّل بأعلاف
الموت بين الخلائق النازحة يأساً إلى الحياة . أخذوا ما يموتُ ،
ومالا يموت . أخذوا الأخطاءَ ، والمُمْتَحَنَ بصوابٍ خطأً . أخذوا
العادلَ المحبرةَ ، والورقَ الندمَ ببياضه المُؤَوَّلِ ، وخزائنَ الأفلاكِ
الفطائرِ ، والمرافئَ مقتطَعةً من أساساتِ المياه . لم ينجُ غيابٌ من
براثن ابتكاره غياباً في سطور الخميس الثالث ـ خميسِ أيامهم
المُنكَّهةِ بزفير الهجرات . أخذوا معهم الجهاتِ القِشدةَ محترقةً .
أخذوا الفراديسَ اللقيطةَ مُبَذْرَقَةً بكلابِ سماد تقتفي البذورَ
إلى سرائرِ البذورِ . لا نجاةَ . كلُّ شيءٍ نجاةٌ . كانوا قَبْلاً أُخْذَةَ
المسألة ذاتها : البقاءَ بنقْشٍ غائرٍ في لدائن العدم كوفاءِ العدم

لبقائهم نقْشاً من رأفةِ الخراب بأجراسه الصلصالية ، ملتحميْن بفـراءِ الهـولِ باطناً إلى ظاهر المصكوكـات الحُـمىً . أخـذوا مـا أخـذوه كي يعيـدوا القلقَ مليـئاً بموازين الشـفـيفِ الوصيِّ على أعـمال الدرَّاق . وسـيأخذون ، برحـمـةِ الغَلَبـةِ ، ما يقـدر العـريقُ على أخـذهِ تبـاعـاً : مـعـاصـرَ الزيت ، وشـرائعَ البـذور ؛ الكمُّـونَ صـريعـاً بعـد نِكاحـهِ ؛ الكِناشَ المُـمزَّقَ ـ كِناشَ الأحوال ؛ صَبْـرَ الخذلانِ على رعاتهِ ، وهَرَفَ اليقطين في المغيب المحروث بسككِ القُلْقاس . سـيأخـذون ذوقَ الغصن ، وزفيـر اليـانسـون المرصـوفِ مُراداً من حسـراتِ النجوم . لن ينسـوا شيـئاً من الجَـمالِ الشَّـره بحوصلتهِ ـ حوصلة المسكون . لـن ينسوا كَرْبَ المياه عن خَلْقها ميـاهاً . لـن ينسوا الظلَّ الأُحْدوثةَ في منطق الظهيراتِ المتجوِّرة أخاديدَ من تطبُّع الفجر بطباع الليلِ . لـن ينسوا أن يأخذوا كلَّ هذا . لـن ينسـوا الشـروقَ الفحمَ في كُـور الحدَّاد الهـارب بمنفـاخ الحدادِيْنَ جميعاً . لـن ينسوا الفضيحةَ مُنزَّهةً بحكمتها ، والهواءَ الشـاردَ كثناء الزيزفون على شرود الشـجـر . لـن ينسـوا مـانسيتْـهُ الحَلَباتُ من هتـاف الذبائح للذبائح ، والخالدِ لـلأنين الخالد . لـن ينسوا مـا ينسـاه العـادلُ ؛ مـاينسـاهُ الخبزُ ؛ مـاينسـاه السُّنبلُ في ائتمانهِ على الجوعِ الكنزِ ؛ مـا تنسـاه البطولةُ في خطوتهـا الثالثة صوبَ الخميس الثالثِ ؛ مـا يتناسـاه المجدُ منصرفاً إلى خَلْوته بين

القُبَل المستهترة بالشفاه ، والقلوب المُزْدلِفة إلى الهوى بشَعْرٍ نابتٍ في أباهيرها ؛ ما نُسِيَ من الآتي مضطرباً كخلاصٍ ساخرٍ . منسيِّيْنَ سيؤخذون إلى النسيانِ المُسْتذْكرِ هجراتهم أمام الطُّهاةِ ، مذ اعتقدوا أنهم أخذوا النسيانَ ، حليقاً كَفَرْجٍ ، إلى استذكار هجراتِهم النقيَّةِ أمام الغَمْرِ الفَحْلِ . بيْدَ سيأخذون النسيانَ ـ يزعمُ الوشاةُ القمريُّون ـ كَفُتْيا الأفران إلى النار ، وفُتْيا الشيءِ إلى أخواته . امتدحُوا ماأ خذوه ، وما سيأخذونه ؛ ما نسوه ، وما نسيَهُ الكونُ أطايبَ جروحاً من غَزَلٍ ، في عبورهم إلى أرضِ دُوْسْخو ـ أرضِ الرَّحَّالةِ قابَ جُرْحٍ من الممالكِ كلِّها .

أذلُّوا خنادقَهم .

أذلُّوا الجِهاتِ الثماني مُنْتَحِلةً بُعْدَ الجهاتِ الثماني المُنْتَحَلَةِ بقياس الفَرْقِ الأعمى ، وأهانوا كَرَمَ اللامُحْتَمَل ، مُذْ أجَّلُوا انتدابَ الشَّتيْتِ المُحيِي على المُتآلِفات الطاحنةِ ، وأجَّلُوا المُحْتَمَل .

فصـــل

١

غيرُ دقيقٍ ما ينقله النَّحلُ عن الكَثْأَةِ . غيرُ دقيقٍ ما يُوحى للعَرْفَج في منبتهِ الشمسيِّ . سهولٌ ، وملاعبُ طافيةٌ فوق شهيق الحاضر بمواجعه ، وصفيرِ مواجعه للعدَّائيْنَ بأثقالِ الحُمْحُمِ من ذاكرة الماءِ إلى ذاكرة الماءْ .

خُذِلَ المائيُّ ، وجُرِّدتِ الأشياءْ .

من قَسَماتِ الغُفْلِ القدوسِ . وضوحٌ غيرُ دقيقٍ أبْهَمَ واقعَه المحسوبَ بدقَّةِ جُنْحته

مُذْ عَدَّلَ في مقدار الموت ، ورتَّبَ أجْرامَ الموت مُخَالِفةً في الأجزاءْ .

غيرُ دقيقٍ ما أظهَرَهُ العاجلُ من همَّته كأناةٍ من همَّته .

غيرُ دقيقٍ أن المشترعيْنَ الأحوالَ الأحوالَ أذاقوا أُمَّهُمُ ـ الشُّبهةَ شيئاً كالسَّنْبُوسكِ محترقاً في زيت الجوعِ وزبدتِه .

غيرُ دقيقٍ أن يستعصي أمرُ النَّفْسِ ـ الشَّغبِ الحيرى ، والروحِ العصيانِ ، وما تحت القُزَحيِّ ، وحَنَقِ الحُذَّاق على آلات النُّور موزَّعةً ، بالتخمين الأزليِّ ، على هَلَع الأنسان ، وتشخيصِ العدميِّ شقيقاً للآتي المتساهل في إلحاد اللوعةِ ؛ غيرُ دقيقٍ أن يستعصي هذا الخلْطُ على أَحدِ .

هُمْ ، تأويلاً للمعقول ، كأفّاكٍ يتحذلق للمفقود البستانيِّ ، دقيقاً في راهنِ نزعتهِ ،
وجراءتهِ ،
غيرُ دقيقيْنَ : خليطٌ من قَسَماتِ الغُفْلِ ، وأثقالٌ ماءٌ ، وجرومٌ متخالِفةٌ في نِسَب الموتِ المجتهدِ .

غيرُ دقيقٍ أن يستعصي هذا . .

٢

غضبُ الزمرُّدِ ما يُشاعُ كأنَّما حُسِمَ الغضبْ ،
في غفلةٍ من حكمة الحجر الكليمِ . ألمْ يكن للأرض ، قبل
ولائها لجسارة العاديِّ ، نَقْدُ غبارِها للخَلْقِ ، أو نَقدُ الغمامةِ
للذَّهبْ؟ .

هُمْ سرَّحوا سِككَ المحاريثِ الشفيفةِ في سهولِ التيه ثانيةً ،
وهاهم يغضبونْ
كالوصفِ يلتمس الزمردَ غاضباً .

٣

يتعذَّر تصديقُ الخوف كرواية لفَّق مالفَّقه ، من قبلُ ، عن الحَلَبات ؛

عن القِدَم المنكوبِ ؛

عن المقدور سليباً ؛

عن ذبحٍ في الفجر ، ونَهْبٍ في الليلِ ؛

عن الفردوس بلا أبوابٍ ؛

عن أسرار المفقودَيْنَ أعانوا المفقودَ الهوَّاسَ على بقراتِ الكونِ لتُنجبَ نَسْلاً من رعدِ المجهول وبرقِ عذوبته .

يتعذَّر تصديقُ الخوفِ وقد خُصِّصَ جَزْماً أنْ لنْ يتعافى من رِعدته .

يتعذَّر تصديق النُّور ببدعته

أن الأكوان رهانُ الكلمات على الكلماتِ الذاهلةِ .

حُمِّى نورٍ مُذْ أُلْزِمَ هذا العبثُ النورانيُّ ببرهان الخُدعة أن الغدرَ المأمونَ وسيطُ الله إلى الإنسانْ ؛
منذُ أُجيزَ الإنسانُ قناعاً ؛ سُنَّ قناعاً ؛ شُرِّع بالمَلَكاتِ الماءِ قناعاً .
يتعذر تصديقُ النور البرهانْ .

لكنَّ أولاءِ ،
بالمنطقِ في تحريف السمَّاقِ ألمْلحدِ آياتِ الذوقِ الأصلِ ، وتلفيقِ الكزبرةِ البرِّيةِ أخبارَ الخَلْق نظاماً أهواءً في أهواءِ ،
نصروا الخوفَ على محنتهِ :
رُمِّمَ خوفاً صِرْفاً يتعافى من رعدتهِ .
وأجابوا النورَ المُخْلِصَ مأموراً بالصَّفقات على أدراج الله ؛
المكفوفَ شقياً يقرع بعصا الإرث نوافذَ دلاَّليهِ ؛ أُجيزَ النورُ قناعاً ـ نوراً خوفاً كخلاصٍ .

٤

سُحُبٌ تائهة تلهث من عطشٍ حول الجيش التائه ذاك ، المُسْتنفَرِ
منذ خروج العاديِّ على اللهِ بشُطَّارِ التيهْ .
سُحُبٌ روَّعها النَّفَسُ البحريُّ عبوراً من أبواق المرجان إلى الغَبْرةِ
راكدةً فوقَ الآثار الأولى
لمشيئاتٍ كوَّرها الماءُ مُعَلَّلةً ،
أوْ أسْكَنَها الصَّدفاتِ هيولى .

هُمْ عَتَلوها سُحباً تائهةً في الآياتِ مروقاً من دِيْنِ الريحِ إلى وَعْدٍ
لم يستكملْهُ التنزيْهْ
بمشورةِ مَنْ أرَّقهم ما يَمْتحنُ العاديِّ بلا تدبيرٍ منه ولا تدبيرٍ فيهْ .
هُمْ عَتَلُوها .

٥

عُصْبةٌ ظلّ ، بأعراقٍ من الظلّ ، احتراساً ، طوّقتْ مُنْتَزَهَ الخَلْق .
لقد داخَلَها
أنَّ في الأركان ما ينذر بالفتنةِ تِيناً وأجاصاً ، كرزاً يُغمى على عِلْمِه في النحو إلى الهندسةِ .
ثمرٌ نَهجٌ ؛ محاصيلُ اجتهادِ الغيب في المنظومةِ الآيسةِ
علٌ يُسْتدرجُ حقلُ الشجر ـ الحقلُ المُريدُ الشُّبْهةُ الخضراءُ من سُكنى المريدْينَ بيوتَ الأخضرِ الساخطِ ـ للإيقاع بالأركان في التينِ ، وبالدولة في التينِ ، وبالأُمّة في التينِ ، عبوراً بجراح الظلّ من مائيّة الفجر إلى المُنتَزَه الأعظم للمجتهدْينَ ـ الظلّ في عُصْبتهم .

هُمْ أولاءِ ؛
هُمْ ، من الخصِّيصَةِ الصُّغرى ، التي دوَّلتِ العَنْدَمَ والشَّكُّ سواءً
بسواءِ
أثَّثوا للعُصْبة الظلِّ رواقَ الرحلةِ الخامسةِ
بضروبٍ من هُذاء السِّعةِ ،
وتَراقيْنِ الهُذاءِ .

٦

كـالأيامِ إذا دَلَقتْ مـحـبـرةَ النقـصـان على صـفـحـات الخـالد ؛
كالأسْفار مدوَّنةً بجراحِ المجهول ؛ كصُلحِ غضبٍ ، يتخيَّرُ مجدُ
العاديْنَ لحكمته عِظةَ الغَدْر بأسباب المعلوم ، القابضِ بالأبديِّ
الكُلاَّبِ على حدوات الهولْ ؛
كالصَّوْلةِ بعد النَّيْلْ ،
يتـولى العـاديون الأقـدارَ عُشُـوراً بجـبـايتـهـم في أروقـة البحـر ،
ومُنعرَجات البرِّ ، كأنْ عبروا بالأرض مهشَّمةً في أجران الوعد
إلى شَغَب الكليِّ ؛ كأنَّ العاديَّ المُجْتَزاَ
مِنْ قِسْمته العاديَّةِ ولَّى الإرثَ أكيداً هَوْلاً
وأعادَ الغيبَ عويلاً موصولا .

هُمْ بشفاعةِ ما ينأى ؛

بشفاعةِ ما ليسَ سوى ما ينأى ؛
بشفاعاتِ المحدودِ انتدبوا العاديِّيْن على البزرة مرهَقَةً من إجلال
اللهِ لبستان المهجورِ . هُمُو احتالوا للهِ على البستانِ مناصَفَةً .

٧

سيكون المذهلُ منسياً بعد قليلٍ . سيكون الغَمْرْ
كنزَ المُشْكل يُعفي الأبديَّ من التفسير الصاخب للنشآتِ ،
ويُعفي الفكرةَ من سطوات الفكرْ .
ستكونُ النشواتُ التلفُ . عراكُ أبازيرَ وطباخيْنَ وراء حجاب
الطَّهوِ الدمويِّ . نباتٌ رعديدٌ يؤكل كالحُمى طازجةً . فوضى في
المرجان ، ومجزرةٌ في اللؤلؤ . شرذمةٌ من أَجْرامٍ . هجراتٌ دائخةٌ .
أطوارٌ ملحٌ تخرج عن أطوارِ ملحٍ . حَتْمٌ ليس يناسبه ما يتوعَّك
منه النارديْنُ . ظلامٌ صبيانيٌّ . رَفَثٌ عُقبى رَفَثٍ . عسلٌ مذعورٌ
من سُكَّرِهِ ، ونظامٌ يدحضهُ الوردُ بمنطقه السَّفاحِ . نفوذٌ للباقلاَّء .
جحودٌ غليونٌ دُخِّنَتِ الأسماءُ مُعسَّلةً فيهِ . مصابيحٌ من ماءٍ .
قَلْبٌ مُرْتكسٌ . شعوذةٌ للنعناع ، وهَوْمٌ مجوسٍ داهيةٌ في دسٍّ
المجدِ أريْجاً في السُّمِّ . سماءٌ مُعوزةٌ . عجزٌ للواسطةِ الكبرى من
نُصْحِ خليفتهِ ـ اللامحدودِ ، وكيفياتٌ عنقودٌ كغرابة أطوار

الليـمون ، وأوجاعٌ لوزٌ . تيجانٌ من قصب الهَوْر الأعظمِ . إغراقٌ
للمتكافىء في المتكافىء ، بَلْهَ قياسُ الجمْرِ بأشبارِ الآلهةِ الجَمْرْ .

حُسِمَ الأمرْ :
هُمْ نزحوا بالمذهلِ ، ثانيةً ، وَفْق الأبراج ، إلى مُذْهِلِهِ .

٨

ذاهلاً من جراءة أحفادهِ أطرَق النَّدمُ ،
ذلك الجَـدُّ ، مُـدَّثِراً بجلود الذبائحِ ؛ بالأزلِ اللاَّزوَرْدِ ؛ بما طرَّزَ الدافىءُ الألمُ .

وهُمو ذاهلونْ
مُـذْ هووا من أعـالي شِـفـافـاتهم نَدَمـاً ليس يُخبِـر عن شـغفٍ بالكثيف الرَّهيْنْ .
هُمْ هووا كي يعودوا إلى صَفْحِهم عن رحيلٍ .

٩

خطأٌ أن يصفحَ قُمْريُّ النَّخل عن العاليْ مختلاً كالوقتِ بطبع العاليْ فيه ، نزيلَ هواجسهِ . خطأٌ أن يصفح هذا العاديُّ ، المتجانسُ في شهواتِ الخارق ، عن قُمْريِّ الأبعاد يراها من علياء النخل نزيلةَ هاجسِها .

خطأٌ أن يصفح أحدٌ عن أحدٍ ؛ شيءٌ عن شيءٍ ؛ أن يُمْتَهَنَ الصفْحُ الدِّرْزةُ مُحْكَمَةً بعد الدِّرْزَةِ في الميثاقِ ـ قميصِ الجمهرة المختارةِ ريَّثَها طبعُ العالي ، وجلاَها أجساداً مرهَقةً من ثرثرةِ الأرواحِ .

هُمْ صَفْحٌ خطأٌ عن وصفٍ يخلطهم خُسْراناً بالمقدور وقِشدته النورانيَّةِ في تدوين الشُّرَّاحِ .

١٠

لا توصَفُ هذي الفوضى :
آلهةٌ ورَّطها النادلُ ، ذو الأجنحة السبعة ، في مُعْتَقَد البستان الخلفيِّ ومذهبه بين بساتين البحر . أباطرةٌ من حلم الفستق في قشرته . هندمةٌ للماءِ . قواربُ من نشواتِ الغِرْيَنِ . إسرافٌ قَبَلٌ . قيثاراتٌ كالدَّغْرَةِ . أسلافٌ خرزٌ في عقد الأحفاد المقطوعِ ، وبوَّاقون أعاروا أختامَ الصوت إلى المَلَكِ المخذولِ ليرضى .

أمْ توصَفُ هذي الفوضى؟
هُمْ وصفوها عادلةً بقياسِ النعمةِ أطبقَ مُرْضِعُها النورانيُّ على الأنساقِ ، وأثْخَنَها عضاً .

١١

لم يَعُدْ للمكان طريقٌ إلى هربٍ من هواجسهِ كمكانٍ ؛
لم يعدْ للمكانِ مكانُ .

هُمُو والمكانُ
خطأٌ من غرور الحقائق أنْ عدَّلتْ مُقْتَضى الذهبيِّ ، وأنْ سوَّلتْ
لنواظمها عبثاً بالتراجِمِ ، إعجازِها ، مُذْ تعهَّدها الأبدُ الترجمانُ .

١٢

قُبَلٌ ، منذ نزوع الأفواه إلى قُبَلٍ ، لم تعثرْ ـ بعدُ ـ على شفةٍ تتمرَّغ فوقَ مواجِدها .

قُبَلٌ غلواءُ ، مُلبَّدةٌ بشهيق اللوعة تتحيَّر في مذهبها الأنفاسُ على بَسْطَتِها .

قُبَلٌ كالفجرِ السُّخْرةِ ؛ كَبْسٌ يستعجله الوجدانُ الفِرْعونُ ؛ ضِباعٌ بَلَلٌ ؛ آياتٌ تُسْتأجَر ؛ خانٌ لَذَذٌ يُستأجَرُ . قُبَلٌ خانٌ .

هُمْ نذروها قُبَلاً للحِفْظ الخالقِ باسم المُعضِلةِ الماء ، وباسمِ الماءِ المُعْضِلْ .

هُمْ أجْروها سَنَناً في أقدار اللَّوعة وُثْقى كالعَهْدِ الأصْلْ .

١٣

باعتدالٍ ليس من تحصيلهِ
أنَّ ما يُنصِفُ قلباً ينصفُ الأزرقَ في مجهولهِ .
باعتدالٍ ؛

هُمْ أشاعوه اعتدالاً رِقَّةً في عصفه الرمليِّ . هم قد ورَّثوا
شُبْهةَ الأزرقِ مُذْ لم يرِثوا .

فصـل

يا كِيُوثاءَ الرملِ المُلْكِ . يا الهلالُ الحريقُ . يُها المتناثرون تُرْمُساً في أثلام اللون . يا البحارُ بناتُ السَّفاح ؛ الأعماقُ ـ الأمَّهاتُ السَّفاحُ . أيها الأصل الغندور ؛ المجدُ الضَّليع في امتهانِ آلَتِهِ ـ مجدُ الصَّبغة على ظَلْف الأروى . أيها المُختطَفون ـ أنصارُ الصَّدْعِ برؤوسٍ نحاسٍ . يا النَّهبُ يُشهِّر فيه الموتى بالموتى . يا الدخانُ الوكْرُ ؛ المساءُ المترنِّح مستنداً إلى الأعمدة بظلالٍ جليفةٍ . يا المكانُ المُسدَلُ على الفاجع ؛ الذبيحُ الوهَّابُ مُسْتَنْهَضاً . ياطباعَ الكمأةِ . يالمهجورُ المأهولُ بإلهٍ طُعمٍ في الشُّصوصِ كلِّها ـ شُصوص العمران . ياأساريرَ الفضيِّ منفرجةً على الأطواقِ الفضَّةِ . يا يقينَ الزنزلخت . ياا لنزيفُ الرجاءُ . أيها البُزْخُ المتناثرون ثراثراتٍ حول نسائهم ـ آكلاتِ النيلوفر . يا البوَّاقون على الجسور العالية منعكسةً ، بأزل حديدها ، على مياهِ الشكل . أيتها الأعالي المطليَّة بالنِّيْلج كأظافر المومس ؛ الأعالي السَّبخةُ زَنخَةً من حراشف القُدِّ ؛ الأعالي الرِّيبة ؛ الأعالي تتلمَّسُها الألسنةُ ، المقضومةُ آناءَ القُبل ، لَعْقاً ؛ تتلمَّسها الأصابعُ

مقضومةً في الغُلْمة أذهلتِ الأفواهَ ؛ يتلمَّسها الفجرُ مقضوماً من حلمتَيْه ؛ يتلمَّسها ماضٍ لم يحدُثْ بعدُ ، لم يأتِ بعدُ ؛ ماضٍ متأخرٌ في ترتيب ميثاقه مع الوقت ؛ ماضٍ نسيانٌ ؛ ماضٍ مقضوم بأسنان الثمرةِ الزئبقِ على شجرتنا ـ شجرةِ الفريْدِ . أيها المَلَلُ العضلةُ في كاذَة الإله ، ياحسابَ المعقول طاحناً بأرقامه اليائسةِ . ياالملَلُ العادلُ ؛ الشفيقُ ؛ القُرْعةُ ؛ الأخماسُ . ياالجمادُ المعتصم بخلود التوت . أيها الذَّبحُ المغفرةُ . ياقربان الرافعات على مشارف السطر ذاتهِ . يُها الخميسُ العلاَّف ؛ المذودُ في حظائر الجمعة وأخواتها . ياريفَ العقل . أيها النخاع الترابيُّ . ياالترابُ الُّلبْسُ ؛ العقْدةُ ؛ الحظُّ متخلِّعاً كنابِ الجَدَّة ؛ يانُسالةَ الباطن في شحوم الظاهر وزيته . أيها الترابُ الزئيرُ ؛ الخَلوةُ ؛ البستانيُّ في حدائق الغيهب . يازفيرَ اللقلق . أيتها الحلوى المتمردة على خُطط القطْر . ياالنَّبيهُ الحَذَرُ الراكدُ كإقامةٍ . أيها الحَذَرُ المُرضع ؛ الغماءةُ ؛ السَّرقيْنُ الحالمُ بجذورٍ تلقِّنُ الأصلَ جساراتِ الخُدعة . ياحشيشةَ الكبدِ ـ الطُّحلبَ النقيبَ . أيها الصدى اللبوءةُ . ياالهَويسُ المشويُّ بعد لهوٍ رَفَعَ الأجسادَ على نشيش الأجساد . ياالبرقُ المؤنِّبُ أصدافَ البطلينوس . يامالَ الغضبِ وآنيتَه الخزفَ . أيتها المرايا العبثُ بالحدائق ، المُنْجَزَةُ من ألم الصُّورِ ؛ الأختامُ مسحاءَ ؛ ياالمتكتِّمةُ على أفاويْهِ اللون ؛ المرايا الحصارُ

الخاملُ . أيها النَّقاءُ الأكالة ، الباسل في رهانه ؛ النقاءُ الغدْرُ . يالكمالُ الدِّعةُ السنجابُ على شجرة البندق . يالبياضُ الثديُ ؛ الرائحةُ ؛ الأخوَّةُ بعد الظهيرات الطائشة كأحاديث الأغوار . أيتها الدُّرْبةُ ؛ المِرانُ العضلةُ النَّكِدةُ . يالبهيجُ الخليُّ ؛ الدَّابوقُ كامناً بقضيبه لِقِرِلَّى الموت . يالرياحُ الزَّلقةُ ؛ النَّوبةُ بعد النوبة صَرْعاً من يقين الرماد . يالطيور المخوِّضةُ . أيها الخواءُ ـ مُنَقِّبُ اللؤلوة . أيها المُرَجَّحُ من كلِّ شيء . يالعقلُ الخدْشُ ؛ الحلقةُ العظمُ ؛ القَرَبوسُ ؛ الخِفاضُ في احتدام الفروج ؛ العقلُ البَدَل عن نُسَافةٍ . ياعقلَ الزَّرد . أيها الإقْليد الكَرَمُ ، مديحُ الخاتم للأُنملة الأكثر خشوعاً . يابناتِ زُحلَ ـ الغمَّازاتِ الكثيرَ مبعثرَةً على وجوه الخلائق ؛ يتها الأنتُنُّ كوداع . أيها البكاءُ ، يافداحة السُّنْبُل الظريف . يالظريفُ المُخْتَتِنُ بقسَمِه ـ قَسَم عناده أن يظلَّ ظريفاً . يتُها الأمُّ القُفل ؛ الرنينُ الثالث في المِغلاق ؛ الخزائنُ ضاحكةً من خُمارِ كنوزها . يالأمُّ الفوضى المقتصدةُ في الرِّشى كسُكَّر المندرين ؛ ياعَزْمَ المغنوليا ، واستفاقةَ البسيط في صِفاد البسيط . أيتها الرِّقة ، المحسوبةُ رقَّةً في خيار المُعْضِل . يارقَّةً بخُصى تسع وخُفَّين مثقوبين . يالعلامةُ الشَّمَلُ الحجريُّ . يتُها القيافة في العريق المطحون . يالخنادقُ كلُّها . يالخنادقُ القُبَلُ ؛ المشيئاتُ احتُفِرتْ سِككاً بالرَّهيف من مشادات الطُّفَال .

يالشهورُ المجزَّعةُ ؛ الصُّلبةُ الحَلَوبُ ؛ الكسورُ ومداهناتُ الكسور . أيها الألقُ اللَّكْمةُ . يابقْلةَ السِّباخ الحامضةَ في فم العَهْد ؛ بقْلةَ الهمسِ التُّحْفةِ . ياأعرافَ الخيل . يالدهاءُ المُجَرَّدُ نَتْفاً . ياأَمارةَ العقيق التابع . أيها الشهداءُ الحظوظُ مُسْتَحْلَبَةً من عروق العوسَج . يامَنَّ العاصفة . يالغضبُ المُفْحِم . ياغِراءَ البحر يُلصق المرايا إلى جوار المرايا في دهليز الخلية الأولى . يالمكَمَّةُ النُّور . يالنُّورُ المختنقُ من إفراطِه في لذائذِ النور . أيتها المُروجُ الوصيفاتُ . يالمواجعُ المختمِرةُ بعُجامها في حنين الإثنين إلى الأربعاء ؛ يامواجعَ الفوز . أيها الوقتُ القلبُ ممرَّغاً في الملح الخشنِ للوجدان ، ويانْسُونِه المطحون خَشِناً . يالسماءُ المتماثلةُ من مواجعِ الوحيِ الأرضيِّ . يالأرضيُّ القوَّاد بكاهناته على أرصفة السماء . يالغدْرُ الحكمةُ ؛ العُثكولُ الذهبيُّ ؛ الجُنْبَةُ ؛ الغَدْرُ دواماً أباً ، بعد كلِّ مقتلةٍ كالرمَّان . يارهائنَ المتخالط ـ فألِ الحجريِّ ؛ الرهائنُ الرَّجعُ بين الأبعادِ متوازيةً باختلالها . يالرهائنُ العَدُّ من الأربعةِ إلى الأربعةِ . أيها الَّليفُ الدَّمثُ ؛ الكسلُ بقاءً من أسرار أبيه . ياجدالَ الموعودِ الناكثِ بعهدِ الموعود المنسيِّ . يارواقَ الرسومِ تفرُمُ الرسومَ بُمدى اللون . أيتها الطَّفْرةُ السكونُ أختُ أحفادها . يالحدائق عاريةً في مُكاشَفاتِ الفَوح ، بلا قضاءٍ من الوردِ ، أو قَدَرٍ من السَّرقيْن . يالمرتبةُ

الخامسةُ السادسةُ ؛ العُشْرُ الخامسُ السادسُ . يتها المعتدلاتُ الأخاديعُ . أيها الُّلقطاءُ في المنعطَف إلى المنارات هناك . يامنبتَ الرنين . أيها العُضَالُ الحافظُ . ياابنةَ الثَّلْم في اللسان ؛ يااُلمُحْتَبِسَةُ . ياضرورات ناشدَهنَّ مايؤتَمَنُ ومالا يؤتَمَن ؛ ياالضروراتُ الخالصةُ كلهاث في الطَّلْق . أيها المعتذرونَ عن الغبارِ المتأمِّلِ ، طويلاً ، في أحوال الأَسْطَقس . ياعريكةَ الخَلَنْجِ الَّلينة كَزِمكّى الُبلبل . يتها القُبَلُ المدخَّنةُ بجواذبِ اللذائذ ؛ ياقُبَلُ الغرق ، رويداً رويداً ، في زهر الميموزا . ياالخَيارُ الثامنُ ـ النظرُ خُلْسَةً ، من الوجودِ إلى الفاتنِ الدمويِّ . يالدَّمويُّ الأُخوَّةُ :

لن

نحدِّثَ

أحداً

بَعْدَ

الآن .

لن نحدِّثَ أحداً ، عن الخزائنِ تأتي وتمضي ملأى بالسطور الشريدة ؛

عن المَكيْنِ الواثق من أحلافٍ بلا ثقةٍ في الثقةِ ؛

عن الخُلاعِ الطاهر ؛

عن إيمانٍ قُلَّفَةٍ تُخْتَتَن للنكاح واثقاً من شفاعاتِ الغرمول ؛

عن الجوعِ المُخْلِصِ داعيةِ الشَّبع المُخْلِص ؛
عن الخلاصِ الرَّحى تطحنُ الخواتيم ؛
عنَّا ؛
عن المراوحِ الخُمالات في أيدي المغدوريْنَ ؛
عنَّا ،
عن الأسنان الملتمعةِ بذهبِها في الخوفِ ؛
عن الخوفِ عادلاً كرياء ؛
عن الغَـدْر الظُّلَّةِ ، الحَـجَّـام ، الفُطرِ الآبقِ ، الكَوْثَلِ ، التَّكأةِ في الرسم بألوانِ الفَلَك الخمسة ؛
عن الغدرِ هرَّاسِ النُّذُر ، اليافعِ أبداً بإدْلالِ أُمَّهاتِه ؛
عنَّا ؛
عن العِرْناسِ المقضومِ طريًّا قبل نضوجِ الحقولِ سَنَنَاً في شرائعِ الترابِ ؛
عنَّاااااا ،
نحن المعتدليْنَ خساراتٍ معتدلةً بعد الفوز المعتدلِ هرطقةً في الخسارات . لا أسماء لأيامنا . لا أيام لنا . لا أثر في الرملِ صعوداً إلى السنين متخبِّطةً في شِباك الأسماءِ الأيامِ . نحن الغلبة إذْ يُنكَّلُ بالأقدارِ كدجاجٍ : هيَ أقدارٌ أعقابٌ غائصةٌ في الرمادِ مروراً إلى عتباتِ الفردوسِ الجوَّالِ على الآلهة بأعقابٍ

غائصةٍ في رمادِ الإنسانِ الجوّالِ على الحقائقِ بعقبيْنِ غائصيْنِ في صلصالِ أُمِّهِ التيهِ ؛ الصلصالِ الغائصِ بعقبَيْه في الأرواحِ ممهَّدةً كشتائمِ الشحاذيْنَ .

عنّاااا ؛

عن الغريبِ مُعتكفاً في شقاء العاديِّ الرَّعاعةِ ، المنزلقِ بأخواتهِ إلى المُؤَجَّل ذاتِه ؛ المؤجَّل أبداً باختطافِ الخاسرِ لسجلاَّتِ الملاكِ الخاسر ؛

عن

كلِّ

شيءٍ محتَكِمٍ إلى تَلَفِه ـ تلفِ العادل .

عن كل شيء ؛

كلِّ شيء ؛

مابعد ذلك ، مابعد لاكلِّ شيءٍ ؛

عن الضئيلِ قادماً بشؤونه العاصفة ، وغنائمِه ، من الهائلِ العريقِ ـ شَفَقِ الرقمِ ، إلى كل شيءٍ ؛

عن الذهول ، الذي لا هوادةَ في يأسه ، أيها الغَمْرُ بلا مياهٍ ؛ أيها الغمرُ الرثةُ ، ياجيادَ اللون راكضةً بحوافرَ من المصطكى . يتُّها الرسومُ الأفرانُ ؛ الخبزُ على مائدةِ الغائب ؛ يارسومَ الشهيقِ خافتاً قبلَ الطعنة . أيها المَنْجمُ الطائرُ بفحمِ أبنائه . ياالوجودُ الهجينُ

بأخلاطٍ من الهُدامِ وضراعةِ الحَلْبوبِ ـ عصا هِرْمِسَ إلى مجامرِ السُّمِّ . أيها القادُ بين الماءِ ومحاكاةِ الماءِ . ياخلافةَ الوَقْشِ . ياالأبناءُ الكلاَّسون ممزَّقيْنَ عَطَسَاً من سَعوط الأناشيد . أيها المُذهِلُ ، المتزلِّفُ بعقل لعبته إلى شعبٍ لم يتَّفق ، بَعْدُ ، مع الآلهةِ على عقْدها ، لن

نحدِّث

أحداً

بعد الآن .

لن نحدِّثَ أحداً .

لنْ أحداً .

غابة سكوغوس ـ السويد

٢٠٠٧

صدر للمؤلف

* كل داخل سيهتف لأجلي ، وكل خارج أيضاً (شعر)
* هكذا أبعثر موسيسانا (شعر)
* للغبار ، لشمدين ، لأدوار الفريسة وأدوار الممالك (شعر)
* الجمهرات (شعر)
* الجندب الحديدي (سيرة الطفولة) (سيرة)
* الكراكي (شعر)
* هاتِه عالياً ؛ هاتِ النَّفير على آخره (سيرة الصبا) (سيرة)
* فقهاء الظلام (رواية)
* بالشِّباك ذاتها ؛ بالثعالب التي تقود الريح (شعر)
* أرواح هندسية (رواية)
* الريش (رواية)
* البازيار (شعر)
* الأعمال الشعرية (مجموعات شعرية في مجلد واحد) (شعر)
* معسكرات الأبد (رواية)
* طيش الياقوت (شعر)
* الفلكيون في ثلثاء الموت : عبور البشروش (رواية)
* الفكيون في ثلثاء الموت : الكون (رواية)

* الفلكيون في ثلثاء الموت : كبد ميلاؤس (رواية)
* المجابهات ؛ المواثيق الأجران ؛ التصاريف ، وغيرها (شعر)
* أنقاض الأزل الثاني (رواية)
* الأقراباذين (مقالات في علوم النَّظر)
* المثاقيل (شعر)
* الأختام والسديم (رواية)
* دلشاد (فراسخ الخلود المهجورة) (رواية)
* كهوف هَايْدْرَاهُوْدَاهُوْس (رواية)
* المعجم (شعر)
* ثَادْرِيْمِيْسْ (رواية)
* موتى مبتدئون (رواية)
* السَّلالمُ الرَّمليَّةُ (رواية)

PEOPLE OF 3 O´CLOCK IN THE MORNING OF THE THIRD THURSDAY

POEMS

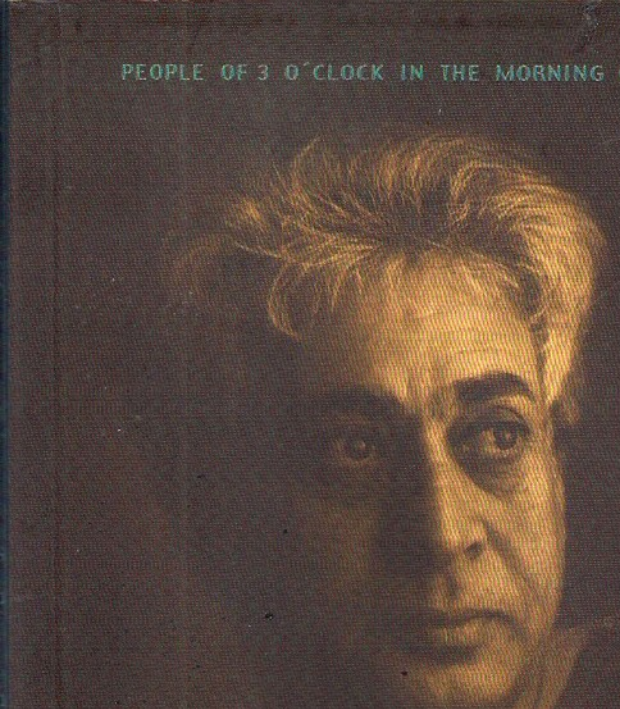

شعب الثالثة فجرا من الخميس الثالث

يَجمعونَ مضائقَ البحرِ كبيْضِ الفواخت .
يَجمعونَ البحرَ فراءً ، والأقدارَ حواصلَ ملأى ببزورِ الأقاقيا

لا سماءَ فوقَهم ،
والأعالي ، مقشّرةً ، تُطحَنُ في دهنِ السيرجِ ، الّذي سيغمسونَ فيهِ كِسرةَ الأبديِّ قبلَ أن يأكلوها .

ISBN 978-9953-36-212-2